إن الشيء المقنع الذى يفسر موقف النحاة من القبائل هو (العزلة والاختلاط بين العرب وغيرهم من الأجانب) ، وهذا أمر فى حاجة إلى إيضاح.

يمكن التأكد من ذلك بمراجعة ما ذكره الفارابى على خريطة القبائل السابقة ، ومن ذلك يتضح أن القبائل التى أخذ عنها تتصف بصفتين :

الأولى : أنهم يعيشون فى وسط الجزيرة بعيداً عن الأطراف ، وبذلك تحققت لهم العزلة ، والمتأمل للرسم السابق يرى أن قبيلة تميم فى الشرق قرب الخليج العربى ، وقبيلة كنانة فى الغرب قرب البحر الأحمر كلاهما على خط وسط الجزيرة ، وفى بيئة طبيعية ضمنت لكل منهما العزلة والصيانة عن الاختلاط بالأجانب .

أما قبائل قيس وهذيل وهوازن وطيء ، فإنها تكاد تتوسط الجزيرة العربية تماما .

ومن ذلك تفهم النصوص الآتية التى وردت فى مدح فصاحة هذه القبائل من العلماء :

• قال أبو زيد الأنصارى. ما أقول قالت العرب إلا إذا سمعته من هؤلاء بكر بن هوازن وبنى كلاب وبنى هلال ، أو من عالية السافلة أو من سافلة العالية ، وإلا لم أقل : قالت العرب (١) .

فالذى ذكره أبو زيد — وهو ثقة — فروع من قبيلة «هوازن من قيس» وثق بفصاحتها وبخاصة «بكر» التى من بطونها «سعد بن بكر» وهم الذين استرضع النبى ﷺ فيهم ، واكتسب الفصاحة منهم .

• وذكر الشعر عند عبدالملك بن مروان ، فقال : إذا أردتم الشعر الجيد

---

(١) الاقتراح ص ٨٣ .